ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

السِّيَـــــاقِ الْقُرْآنِيِّ فِي نَقْدِ الْمَرْوِيَّـــاتِ مِنْ خِلَالِ تَفْسِيـــــــر أَبُو زَهْرَة

زينب منذر عبد الرزاق

إشراف: أ.م. د. علي جمال علي

The Qur'anic context in critiquing narrations through the interpretation of Abu Zahra

Supervision: Dr. Ali Jamal Ali Researcher: Zainab Munzer Abdul Razzaq

الملخص:

أن أثر السياق القرآني في المرويات عند أبو زهرة، يظهر أهمية الربط بين القرآن والسنة في تفسير التعاليم الإسلامية، فضلاً عن ذلك فإن هذا الربط يعزز من فهم النصوص، ويسهم في توجيه السلوكيات، والقيم الدينية بشكل يتماشى مع العصر.

Abstract:

The impact of the Qur'anic context on narrations in Abu Zahra's interpretation highlights the importance of linking the Qur'an and Sunnah in understanding Islamic teachings. This connection enhances the comprehension of texts and contributes to guiding behaviors and religious values in a manner consistent with modern times.

المقدمة:

يُعدُّ السياق القرآني من أبرز الأدوات التي استخدمها العلماء في نقد المرويات، وتحليلها، ومن خلال هذا البحث، سوف نُسلِّط الضوء على منهج الشيخ أبو زهرة في توظيف السياق القرآني في نقد المرويات من خلال تفسيره، كما سنتناول بالتحليل كيفية استخدامه للسياق لفهم النصوص، وتقييم الروايات، مع تركيزنا على الأبعاد اللغوية، والمعنوية التي تساعد في تحقيق فهم نصوص القرآن الكريم، إذ يسعى البحث إلى إبراز منهج الشيخ أبو زهرة كإسهام علمي ذات أهمية بالغة في تفسير النصوص الشرعية، وفهمها بشكل أعمق.

الْمَطْلَبِ الْأَوَّلِ: السِّيَاقُ الْقُرْآنِيُّ وَأَثَرُهُ فِي نَقْدِ الرِّوَايَاتِ بِشَكْلٍ عَامّ:

نقد الشيخ أبو زهرة الحديث سنداً ومتنا: عندما يتكلم الشيخ أبو زهرة عن السند وينقله عن الآخرين؛ لأنه بنفسه ليس صاحب سند فعندما تناول قول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]. يُذكر أن رحلة الإسراء وقعت في العام الذي سبق الهجرة النبوية، وفقا لما نقله البيهقي عن ابن شهاب الزهري؛ بينما ذكر الحاكم أن هذه الحادثة حدثت قبل الهجرة بستة عشر شهرًا، وهناك اختلافات بين العلماء حول الشهر الدقيق الذي وقعت فيه الرحلة. فقد ذكر السدى أنها: كانت في ذي القعدة، في حين قال الزهري: إنها كانت في ربيع الأول، وجابر وابن عباس من جانبهما ذكرا أن النبي محمد ﷺ وُلد وأرسل كرسول وعُرج به إلى السماء وهاجر وتوفي كلها في الثاني عشر من ربيع الأول. وثمة رواية تشير إلى أن الإسراء تم في السابع والعشرين من رجب. وهو الرأي الذي اختاره الحافظ ابن سرور؛ رغم أن الحديث الداعم لهذا التاريخ لا يتمتع بسند قوي، ويعتبر ابن كثير أن الإسراء وقع ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم[١]إذ يعتقد بعض الناس أن رحلة الإسراء حدثت في بداية ليلة الجمعة من شهر رجب، وتحديدًا في ليلة الرغائب التي اشتهرت بصلاة خاصة تؤدى فيها، لكن لا يوجد دليل يؤكد هذا الادعاء وفقًا لما ورد في نهاية الأرب"، فإن الإسراء وقع في ليلة السبت السابع عشر من رمضان، وذلك قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا، عندما كان عمر النبي ﷺ إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر. يُخلص إلى أن هناك اختلافات بين علماء السيرة النبوية بشأن تحديد التاريخ الدقيق للإسراء، على الرغم من الإجماع على حقيقة وقوع الحادثة، فالعلماء متفقون على أن الإسراء تم بعد زيارة النبي للطائف، والرأي القائل بأن الإسراء حدث في ليلة السابع والعشرين من رجب، يستند إلى رواية لم يقر بصحة سندها الحافظ ابن كثير الذي أضاف عقب ذكرها والله أعلم[٢]أما نقد الشيخ أبو زهرة في الأحاديث متنا: فعند تفسير الآية يقول: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٤٥]. يشير القرآن الكريم إلى الوصايا التي

أوحى الله بها إلى موسى عليه السلام حيث يقول: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هذه الألواح تمثل التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، ويُفسر قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ بأن الله سبحانه وتعالى أمر بكتابة هذه الوصايا على الألواح. ويروي الترمذي أن جبريل عليه السلام حمل موسى بجناحه خلال رحلة سماوية، حيث اقترب موسى بما يكفي ليسمع صوت القلم وهو يكتب تلك الألواح بأمر الله تعالى. يؤكد الشيخ أبو زهرة قائلاً: "نحن لا نرفض حديثًا إذا كان ثابتًا وصحيحًا عن النبي ﷺ ولكننا لسنا متأكدين من درجة صحة هذا الحديث"[٣]إذاً مما سبق يظهر لنا أن الشيخ محمد أبو زهرة قد قدمَ إسهامًا مهمًا، في تطور المناهج التفسيرية، ونقد المرويات الحديثية، مؤكدًا أن فهم النص القرآني في سياقه المتكامل هو السبيل الأصح والأنسب لاستخلاص المعاني الدقيقة، وتقييم المرويات التي قد تَشُوهُ الفهم الصحيح لنصوص القرآن الكريم.

اَلْمَطْلَبِ اَلثَّانِي: اَلسِّيَاقُ اَلْقُرْآنِيُّ وَأَثَرُهُ فِي نَقْدِ اَلرِّوَايَاتِ اَلْمَرْفُوعَة:

من الأحاديث التي استدل بها الشيخ أبو زهرة كثيرًا بالأحاديث المرفوعة، فمثلاً يقول عند تفسير الآية: ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4] [سورة الأنفال:٦٨] لَّوْلَا في الآية الكريمة: ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ﴾ تدل على شرط غير متحقق بسبب وجود الكتاب، وهذا الكتاب المشار إليه، هو العهد الذي قطع لبني آدم بعدم تعرضهم للعقاب قبل التبليغ والبيان، بمعنى أن العذاب لا يأتي إلا بعد التنويه والإعلام؛ (فلا عقوبة دون إعلان مسبق) ويشمل هذا العهد أيضًا عدم العقاب على الأخطاء اللفظية، استنادًا لقول النبي ﷺ: ﴿رَفْعُ اَللَّهِ عَنْ أُمَّتِي اَلْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اِسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ﴾. وكذلك العهد يشمل عدم العقاب على الخطأ في الرأي، حيث يُعطى أجر للمجتهد حتى وإن أخطأ؛ والشخص الذي له أجر في شأن ما لا يعاقب عليه، لأن الأجر والعقاب لا يجتمعان؛ وبذلك فإن وجود الكتاب يجلب العفو. والنص يشير إلى أنه لولا الضوابط المحيطة لكان أسر الأعداء موجبًا للعقاب[5]. فالحديث: ﴿تجاوز اَللَّهِ عَنْ أُمَّتِي اَلْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اِسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ﴾ مرفوع كما قال صاحب كتاب: [المستدرك على الصحيحين] فعند تفسير الآية: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢] في تأويل العبارة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ تعبر عن الأمل في أن يتخذوا موقف الحيطة والحذر، وهذا الأمل موجه نحو الناس لا من الله عز وجل، إذ أن علم الغيب وقدرة الله تشملان كل شيءٍ في السموات والأرض، وقد تمت مناقشة هذه الآية في سياق الحديث عن القيمة والأهمية العظيمة؛ للعلم والجهاد في سبيل الله، مؤكدين أن كليهما يصبان في غاية واحدة، هي تعظيم شأن دين الله؛ الأول من خلال توضيح الحق؛ والثاني عبر الدفاع عن مبادئه. وقد نقل عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ أكد أن طلب العلم واجب على كل مسلم[6]. فهذا الحديث مرفوع كما قال صاحب كتاب [شرح مسند أبي حنيفة]فسبب التعارض عند الشيخ محمد أبو زهرة: ذكر الشيخ محمد أبو زهرة أنه قد يُظن خطأ وجود تناقض بين نصين قانونيين يبدو أنهما يشيران إلى أحكام متضاربة، في حين أن هذا التناقض موجود فقط في فهم المفسر لها؛ وليس في النصوص ذاتها. فكل نص له سياق ومقصد مختلف عن الآخر، وبالتالي فإن التضارب يكمن في تصور الشخص وليس في النصوص أو معانيها الحقيقية.أما أسلوبه في رفع التعارض بين الحديثين: فأسلوبه في رفع التعارض بين الحديثين بطريقة الجمع أو التوفيق بينهما، فمثلاً يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[7] [التوبة:٧٢] يذكر القرآن الكريم في قوله تعالى وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، مشيرا إلى المنازل الرائعة التي توفر لساكنيها مكانًا مثاليًا؛ للعيش حيث تم تجهيزها بكل ما يجعل الإقامة فيها مريحة وممتعة. وقد ورد في الروايات أن هذه المنازل عبارة عن قصور مبنية من مواد ثمينة كاللؤلؤ والزمرد والياقوت الأحمر، وأيضًا من الفضة والذهب ما يعكس جمالها وروعتها الاستثنائية، بعدها يؤكد الشيخ قائلًا: "لا يوجد تناقض في أن تكون المساكن بهذه الطريقة، إذ نقول إنها منازل مريحة تجعل الإقامة فيها ممتعة، وتساعد على شعور النفس والقلب بالراحة والسكينة أثناء الإقامة فيها"[8]أما تعرضه للناسخ والمنسوخ في الحديث: فأبو زهرة يؤيد فكرة النسخ؛ ورغم ذلك يركز على استعراض آراء مفسرين آخرين حول تفسير هذه الآيات، معتزمًا من خلال ذلك إظهار عدم دقة ما ذهب إليه هؤلاء المفسرون. فمثلاً يقول عند تفسير الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٧]. بغض النظر عن الظروف، فإن القتال خلال الأشهر الحرم محظور إذا كان بناء على الاختيار والمبادرة، وبالتالي لا يجوز الشروع في الغزو خلالها، وقد نقل جابر[9] قوله: (لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْزُو فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، إِلَّا أَنْ يُغْزَى، أَوْ يُغْزَوْا، فَإِذَا حَضَرَهُ، أَقَامَ حَتَّى يَنْسَلِخَ)[10]؛ أي أنه لم يكن النبي ﷺ يخوض في قتال خلال الشهر الحرم إلا إذا تعرض للهجوم أو هوجم، أما غير ذلك فقد كان ينتظر حتى ينتهي الشهر الحرم[11] إذ ذكر بعض العلماء أن التحريم المتعلق بالقتال خلال الشهر الحرم قد تم نسخه بقوله تعالى: ﴿...وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُم كافة﴾[12] [التوبة:٣٦]. وعلى الرغم من مشاركة النبي ﷺ في القتال ضد أهل الطائف خلال هذا الشهر، إلا أن عطاء أكد أن هذا التحريم لم يتم نسخه، والحقيقة أنه لم يثبت ناسخ صريح في النسخ فإن قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ التعميم يتعلق بالمقاتلين أنفسهم لا بتوقيت القتال، والنبي ﷺ لم يشرع أبدًا في قتال خلال الشهر الحرم بإرادته التحريم

كما أشرنا، يرتبط بإقدام الفرد على القتال لا بمجرد وجوده في الحرب، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة:٣٦] نظرًا لأن الأشهر الحرم تم ذكرها في خطبة الوداع، فإن كل ما ورد في هذه الخطبة يُعتبر غير قابل للنسخ. وقد تم توضيح الحكمة وراء تحريم القتال خلال الأشهر الحرم عند تفسير قوله تعالى: ﴿الشهر الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٩٤]إذاً حاصل ما تم ذكره، يتضح أن الشيخ أبو زهرة يؤيد فكرة النسخ ولاكن بشكل غير صريح، بل يستعرض آراء متنوعة من المفسرين حول تأويل هذه الآيات بهدف توضيح عدم صحة الأقوال التي أوردها هؤلاء المفسرون.

اَلْمَطْلَبُ اَلثَّالِث: اَلسِّيَاقُ اَلْقُرْآنِيُّ وَأَثَرُهُ فِي نَقْدِ اَلْإِسْرَائِيلِيَّاتِ:

أن الشيخ أبو زهرة لم يتطرق إلى الإسرائيليات في تفسيره، فعلى سبيل المثال في تأويله لقصة يأجوج ومأجوج، التي جاءت ضمن تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لك خرجا على أن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف:٩٤] لم يستخدم الروايات الإسرائيلية لشرح قصة يأجوج ومأجوج، على عكس ما فعل ابن جرير الطبري[13]، بل ذكر قول مولانا أبي الكـــلام آزاد[14]حول التسلسل الزمني للفترات السبع التي يُقال إن فيها سيظهر يأجوج ومأجوج. استخلص منها أن يأجوج ومأجوج هم من القبائل المغولية، وأن زمن فسادهم كان متزايدًا في القرن الثالث قبل العصر الميلادي، وهو الوقت الذي ظهر فيه الإسكندر الأكبر[15]، وفي "قصة بن عنق" كما وردت في تفسير قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة:٢٢] ما تنبأ به موسى عليه السلام بشأنهم وما حذرهم منه قد تحقق، فقد غلبت عليهم حالة التردد وسيطرت على عقولهم، مما جعلهم يصرحون بأنهم لن يقدموا على الدخول إلى الأرض التي فيها أقوام عظام. والجبار في اللغة يشير إلى الشخص الطويل القوي أو المتغطرس، وتعود الكلمة إلى وصف النخلة الجبارة التي تكون طويلة لدرجة أن ثمارها تصبح خارج متناول اليد، وفقاً للسان العرب الجبار هو النخل الطويل الذي لا تصل إليه الأيدي. وفي مفردات اللغة يُقال: إن الجبار يأتي من الجبر أي الإصلاح بالقوة والإكراه. وبناءً على هذا، يُفهم أن الجبارين هم أقوام شديدو القوة، قادرون على الإكراه والسيطرة، ويُذكر في الروايات أنهم من بني عناق القاطنين في الجهة الأدنى من الأرض المقدسة، وهم أشخاص ذوو قوة وبأس شديد، ربما هم الذين أشار إليهم القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خلال الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[16] [الإسراء:٥-٦] لم يتطرق إلى الرواية الإسرائيلية، واقتصر فقط على ذكر معلومات حول معنى "جبارين" مشيرًا إلى أنهم من بني عناق، دون الإشارة إلى أي رواية محددة.ويذكر حديثا موضوعًا ولم يعقب عليها، فمثلاً ما ذكر عند تفسير الآية لبيان أحوال المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:١٤] يُروى أن عبد الله بن أبي الذي كان يُعد رأس النفاق والمنافقين، خرج برفقة أصحابه واعترض طريقهم بعض أصحاب النبي، فتقدم عبد الله بن أبي نحو أبي بكر (رضي الله عنه) ممسكًا بيده، ومرحبًا به مشيدًا بمكانته كالصديق وزعيم قبيلة بني تيم، وكشريك للنبي في الغار ومضحي بنفسه وماله في سبيل الله. ثم توجه نحو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مرحبا به كسيد لبني عدي، والفاروق الثابت في دين الله الذي قدم نفسه وماله دعمًا للنبي ﷺ، وأخيرًا مد يده إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، مرحبًا به كابن عم النبي ﷺ وصهره، وسيد بني هاشم باستثناء النبي ﷺ نفسه[17].لم يقم الشيخ أبو زهرة بالتعليق على هذه الرواية أو تفنيدها أو بيان مستوى صحتها، ومع ذلك تعد هذه الرواية من الأحاديث الموضوعة، كما ذكر في كتاب "الإسرائيليات والموضوعات"، السبب في اعتبارها موضوعة يرجع إلى أنها منقولة عن السدي الصغير، الذي روى عن الكلبي، والكلبي عن أبي صالح[18]وعند تفسير الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٢] يوضح النص أن الله عز وجل نهى عن طرد الأشخاص الأتقياء بسبب فقرهم، فهم عماد الدين ومحوره، الضلال لا يمكن مقارنته بالهداية، والعمى ليس كالبصيرة، لذا لا يجوز طرد الفقراء طمعا في موافقة الأغنياء، ولا الضعفاء رجاء في دعم الأقوياء، ويُنقل عن ابن مسعود (رضي الله عنه) حين مر نخبة من قريش بالنبي ﷺ وهو في مجلس؛ يضم صهيب وبلال وعمار وخباب وآخرين من المسلمين المستضعفين؛ فتساءلوا إن كان النبي ﷺ راضيًا بهؤلاء الأفراد من قومه، وهل هم المفضلون من الله علينا، متسائلين إن كانوا سيتبعونهم كأتباع، ملمحين إلى أنهم قد يتبعون النبي إذا طرد هؤلاء المستضعفين، ويُروى أن خباب بن الأرت (رضي الله عنه) استشهد بآية قرآنية في سياق حديثه عن موقف حدث مع النبي ﷺ وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِي... حتى جزء... فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. إذ يُذكر أن الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وجدا النبي ﷺ جالسًا مع بلال وصهيب وخباب وعمار بين جمع من المؤمنين المستضعفين عند رؤيتهم لهذا المشهد، طلبوا من النبي ﷺ أن يخصص لهم مجلسًا؛ يبرز مكانتهم بين العرب، مشيرين إلى حرجهم من رؤيتهم مع المؤمنين المستضعفين عند قدوم وفود العرب. واقترحوا أن يُعزل هؤلاء المستضعفون عند حضورهم، وبإمكان النبي ﷺ أن يعود للجلوس معهم بعد مغادرتهم إن رغب، على إثر هذا الموقف نزلت الآية القرآنية المذكورة: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾[19]فلم يتطرق

الشيخ أبو زهرة إلى تعليق على هذه الرواية أو رفضها أو تصنيفها، ولكن ورد في كتاب الإسرائيليات والموضوعات أن هذه الرواية موضوعة لأسباب عديدة منها: أن الآية المذكورة مكية، ويُقال إنها نزلت دفعة واحدة، بينما الأقرع بن حابس وعيينة لم يسلما إلا بعد فتح مكة، وكانا من الذين جمعت قلوبهم مما يجعل من غير المعقول أن تنزل الآية ردًا على كلامهما والرأي الراجح أن المقصود بالآية هم المشركون. وذكر الألوسي وآخرون هذا السبب دون التنبيه على عدم صحته. بينما أشار الخازن إلى ما يوحي بعدم صحته من ضمن ما ذكره المفسرون مثل الزمخشري، الخازن، والنسفي، بشأن سبب نزول الآية القرآنية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ هو أنها نزلت في شأن سيدنا علي (رضي الله عنه) عندما أعطى خاتمه لسائل وهو في حالة الصلاة [20] . إذاً بناءً على ما سبق يظهر لنا أن السياق القرآني هو أداة فعالة تعمل في حماية النصوص القرآنية من التأويلات الخاطئة الناتجة عن الإسرائيليات، مما يسهم ذلك في الحفاظ على نقاء التفسير القرآني، واستقامته، وكان ذلك نهج كثير من العلماء والمفسرين العرب، ومنهم الشيخ أبو زهرة.

الخاتمة:

يُبرز البحث مسألة في غاية الأهمية وهي أن السياق القرآني يعدّ كأداة نقدية فعالة للتعامل مع المرويات، ويتجلى ذلك من خلال منهج الشيخ أبو زهرة. فالنتائج تشير إلى أن استخدام السياق القرآني لا يقتصر على تحقيق الفهم الدقيق للنصوص فقط، بل يتجاوز ذلك إلى نقد الروايات، وضبط معانيها، إذ يُظهر تحليل تفسير الشيخ أبو زهرة عمق التفكير، وأهمية الاعتماد على السياق القرآني في الدراسات التفسيرية. كما يوضح البحث مسألة مهمة وهي أن كثيرًا من الإسرائيليات تتعارض مع السياق القرآني، سواء في المعنى أم المضمون، مما يُفقدها المصداقية، لذلك نجد أن المفسرين الذين اعتمدوا على السياق القرآني كأداة نقدية، تمكنوا من تنقية التفاسير الروايات الزائفة، والمضللة، ومنهم الشيخ أبو زهرة.

الوصايا:

توصي الباحثة مواصلة البحث في مناهج العلماء الآخرين؛ لتعزيز مجال السياق القرآني بشكل أكبر، إذ يساعد ذلك توسعة فهم عقول الأجيال الإسلامية للنصوص القرآنية والروائية بشكل صحيح وواضح.

هوامش البحث

(١) يُنظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٣/ ١٣٥.

(٢) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد أبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، (د.ت)، ٨/ ٤٣٢٢.

(٣) زهرة التفاسير، ٤/ ٢٢٦٦.

(4) زهرة التفاسير، ٦/ ٣١٩٤.

(5)المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تح: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، كتاب: (الطلاق)، ٢١٦/٢.

(6) زهرة التفاسير، ١/ ٣٤٨٥.

(7) يُنظر: شرح مسند أبي حنيفة، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، تح: خليل محي الدين الميس، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ٧٦.

(8) زهرة التفاسير، ٧/ ٣٣٧٣.

(9) جابر: هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري صحابي، من المكثرين من رواية الحديث النبوي، إذ كان صحابيًا أنصاريًا من بني غنم بن كعب بن سلمة أحد بطون قبيلة الخزرج، وقد اضطربت الروايات حول زمان وفاته، فقيل: أنه مات سنة ٧٣هـ، وقيل: سنة ٧٤هـ، وقيل: سنة ٧٨هـ، وقيل: سنة ٧٧هـ. يُنظر: معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ٥٢٩/٢.

(10) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ٦٠/٢٣، مسند: (جابر بن عبد الله رضي الله عنه)، رقم الحديث: (١٤٧١٣).

([11]) يُنظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج١، ص ٤٧٦.

([12]) زهرة التفاسير، ١/ ٦٨٦-٦٨٧.

([13]) جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ١٨/ ١٠١.

([14]) آزاد: هو محيي الدين أحمد بن خير الدين المتوفي سنة (١٣٧٧هـ) كان أحد علماء الشريعة الإسلامية البارزين في القرن الرابع عشر الهجري، إذ كان له إسهامات بارزة في الفقه الإسلامي، حيث عمل على تحليل القضايا الفقهية المستجدة، ومراجعة المخطوطات الفقهية ونشرها إلى جانب التأليف. يُنظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ١/١٢٢.

([15]) زهرة التفاسير، ٩/ ٤٥٨٦-٤٥٨٧.

([16]) زهرة التفاسير، ٤/ ٢١١٢-٢١١٣.

([17]) زهرة التفاسير، ١/ ١٣٤.

([18]) يُنظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ)، مكتبة السنة، ط٤، (د.ت)،٣٩٦.

([19]) زهرة التفاسير، ٥/ ٢٥١١-٢٥١٢.

([20]) ينظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ٣٩٧-٣٩٨.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١-الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ)، مكتبة السنة، ط٤، (د.ت).

٢-الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٣-البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤-التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥-المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تح: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٦-جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٧-زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد أبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، (د.ت).

٨-شرح مسند أبي حنيفة، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، تح: خليل محي الدين الميس، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٩-مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٠-معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.